

السؤال

ما الفرق بين القنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ؟ وأيهما أشد ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

" اختلف العلماء في الفرق بين اليأس والقنوط على أقوال منها:

1. أن ظاهر القرآن يدل على أن اليأس أشد من القنوط، حيث حكم على أهل اليأس بالكفر فقال تعالى: (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) ، وحكم على أهل القنوط بالضلال كما قال تعالى: (وَمَنْ يَفْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (ومعلوم أن الضلال قد يكون كفرا ، وقد يكون دون الكفر .
2. أنه لا فرق بينهما، ووصف أهل اليأس بالكفر، وأهل القنوط بالضلال، لا يدل على الفرق، فالضلال والكفر يجتمعان، ويقال: هو ضالٌّ، ويقال: هو كافر ؛ فالكفر يسمّى ضلالاً؛ كما قال الله تعالى: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) .
3. الفرق بينهما باعتبار بعض الصفات، لا باعتبار أصل المعنى، وإلا فإن القنوط من الرحمة ، واليأس من الرُّوح : هما بمعنى واحد، لكن يختلفان من حيث ما يتناوله هذا ، وما يتناوله هذا ؛ فالقنوط من رحمة الله عام ؛ لأن الرحمة أعم من الروح، فالرحمة تشمل جلب النعم ، ودفع النقم، وروح الله - جل وعلا - يطلق في الغالب في الخلاص من المصائب . فقوله: (القنوط من رحمة الله) في أثر ابن مسعود رضي الله عنه: (أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) هذا أعم؛ ولهذا قدمه ، فيكون ما بعده من عطف الخاص على العام، أو يكون هناك ترادف في أصل المعنى، واختلاف في الصفات، أو بعض ما يتعلق باللفظ .
4. اليأس: انقطاع الطمع من الشيء، والقنوط: أخص منه، فهو أشد اليأس ، ويدل عليه قوله تعالى : (لَا تَفْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) .
5. اليأس: أن يستبعد زوال المكروه، والقنوط: أن يستبعد رحمة الله سبحانه وتعالى ، ويستبعد حصول المطلوب، ويدل على التفريق أثر ابن مسعود رضي الله عنه السابق ؛ حيث فرّق بين اليأس والقنوط .
6. اليأس هو: انعدام الأمل في القلب، ومتى ما وصل ذلك إلى درجة شديدة بنحو ينعكس على مظهر الإنسان أصبح قنوطاً . وعلى هذا فالإيأس صفة للقلب ، وهو: أن يقطع رجاءه من الخير وهي المؤثرة، وما يظهر على الصورة من التضائل والانكسار ، هو القنوط .

والراجح - والله أعلم - وجود الفرق بين اليأس والقنوط حال اجتماعهما في اللفظ ، كقوله تعالى: (لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) .

قال ابن جرير في معنى الآية: " إن ناله ضر في نفسه من سقم، أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه فيئوس قنوط، يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه " .

وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: (الإشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْإِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) ، وقول ابن مسعود رضي الله عنه السابق : (أَكْبَرُ الْكِبَايِرِ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَيْاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) ...

فدل ذلك على الفرق بينهما حال اجتماعهما في اللفظ، وأما إذا افترقا في اللفظ : فالظاهر - والله أعلم - أنهما بمعنى واحد.

وأما القول بأن اليأس أشد من القنوط ، لكون ظاهر القرآن حكم على أهل اليأس بالكفر، فقال تعالى: (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) ، بينما حكم على أهل القنوط بالضلال ، قال تعالى: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) : فلا يلزم منه أن يكون اليأس أشد، إذ ربما يكون الحكم بالضلال زائداً على الحكم بالكفر، فيجتمع فيه وصفان شنيعان ، لقبح الفعل وشدته ، كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) ، وقال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) ؛ فحكم هنا على من دعا غير الله بالكفر، وحكم عليه في موضع آخر بالضلال ، فقال تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) ، ومما يشعر بأن القنوط أشد من اليأس الفرق اللغوي، حيث جعل القنوط أشد أنواع اليأس " انتهى بتصريف يسير، من بحث للشيخ إبراهيم الحماد في "مجلة البحوث الإسلامية" (89/178) .

والله أعلم .